

كتبها

سليمان بن عبد الكريم المفرج

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب على هذه الخليقة فناء وزوالاً، وجعل لكل شيء منها إدبارًا وإقبالاً، ليدلنا بذلك على أن لكل نازل رحيلاً وانتقالاً، أحمده وأشكره إذ أعاننا على الصيام والقيام كرمًا منه وإفضالاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع شاهدها عاجلاً ومآلاً، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله يرشد جهالاً وضلالاً، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أزكى الأمة أعمالاً وأصدقهم أقوالاً، أما بعد:

عباد الله: هذا شهركم، قد قوضت خيامه، وتقطعت حباله، وتصرمت أيامه، وهو شاهد لكم غدًا بما عملتم، وشاهد عليكم بما أضعتم، فيا ليت شعري، هل يرحل حامدًا صنيعكم أو ذامًا تضييعكم؟

إني أعزيكم بانقضاء شهر رمضان، وحق لكل قلب أن يعزى بفراقه، وإنها لنعمة كبيرة أن أبقانا الله؛ لنعانقه، ونعيش أيامه ولياليه في روحانية وإيمان وأنس واطمئنان.

وحق لكل مسلم أن تذرف عيناه دموع الحزن على فراقه، ولا نلام إذا انهملت الدموع على الخدود وجادت بأغلى ما لديها:

يـــا عيونـــاً أرســـلت أدمعهـــا

ما بذا بأس لو أرســـلت الـــدما

فماذا قدمنا أيها الأحبة لهذا الضيف الذي أفل نجمه، وانطفأت شمسه؟

والله، لو كانت القلوب سليمة لخالجها الأسى بمغادرته، ووالله، لو لم يكن فيه إلا طرب القلوب والوقوف عند باب الرب لكفى.

لقد كنت يا رمضان للقلوب مقومًا، وللوجوه منبرًا، وللعيون مفيضًا.

وحق لعــين أن تريــق دموعهــا

ولا خير في عين بــذلك تبخــل

هنيئًا لمن أكرمك أيها الضيف الراحل، ويا خسارة من فرط في إكرامك وارتحلت، و لم يغفر له بإدراكك.

سلف الأمة إذا شارف رمضان على الانقضاء حزنوا وبكوا، كيف لا، وقد كان لهم رمضان أنسًا ومغنمًا، علموا ما في رمضان؛ فتمنوا السنة كلها رمضان، ويدعون الله ستة أِشهر أن يقبله منهم، فالمعول على القبول لا على الأداء فحسب، لسان حال الواحد منهم يقول:

وإني حقيق بالتضــرع والبكــا

إذا ما هذا النوام والليل غيهــب

وجالت دواعي الحزن من كــل

وغارت نجــوم الليــل وانقــض

كفى أن عيني بالــدموع غزيــرة

وأني بآهــات صــدري معــذب

من منا لا تؤلم نفسه لحظات الفراق؟ ومن منا لا تجرح مشاعره ساعات الغياب؟ بدموع الفرح استقبلنا رمضان، وكأنني بك أخي

تطلق العبرات والزفرات لسماع أول الموعظات، وها أنت الآن بدموع الأثر والتأثر تودعه، وكأنني بك نادم كل الندم على التقصير والزلات.

أخي، وأنت تودع رمضان تذكر أن رمضان جاء، وها هو يذهب، وقد طوى دفاتره وسوى حساباته، وأعلن عمن فاز بالربح، وكسب الجولة، وختم كشوفه مع من خسر، وغبن في البيعة، ولا ندري — والله – أنهنأ بقدوم عيد الفطر أم نعزى بفراق شهر القرآن والذكر؟!

ذهب رمضان ليعود على من بقي، وليودع من رحل، ذهب رمضان، فجرت المدامع وتناقص عدد الناس في الجوامع.

يا راحلاً وجميـــل الصـــبر يتبعـــه
هل من سبيل إلى لقيـــاك يتفـــق
ما أنصفتك دموعي وهي داميـــة
ولا وفى لك قلبي وهـــو يحتـــرق

اغتنموا شهركم بالتوبة النصوح، واسكبوا غزير الدمع لعل الله يتقبلكم، فكم من شخص جاء بالقليل وتوج بالقبول، وكم من شخص عمل الكثير لكنه مني بالحرمان.

إخواني، هذا شهر رمضان موسم القبول والغفران ما بقي منه إلا القليل، وكأنه طيف زار في النوم، لقد كان للمتقين روضة وأنسًا وللغافلين قيدًا وحبسًا، كان نزهة للأبرار وقيدًا للأشرار، فطوبى لمن حل فيه عقدة الإصرار ونزل في روضة التقوى في دار

الافتقار، وختم شهره بالاستغفار لعله، يرقع خلل التقصير، ويمحو الأوزار.

أي شهر قد تولى يا عباد الله عنا
حق أن نبكي عليه بدماء لو عقلنا
كيف لا نبكي بشهر مر بالغفلـــة
ثم لم نعلم أنا قد قبلنا أو طردنـــا
ليت شعري، من هـــو المحـــروم
ومن المقبول ممن صام منا فيهنـــا
كان هذا الشهر نورًا يرتدي زهوًا
فاجعل اللهم عقباه لنا خيرًا وغنما

إخواني، اجتهدوا في باقيه، وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه، متى يغفر لمن لم يغفر له فيه، ومتى يصلح من صعب عليه إدراك فارطه، وأقام على تماديه، لقد كان منبهًا لذوي الغفلات والنسيان، موسمًا لمضاعفة الأعمال والغفران، مخصوصًا لفضيلة تلاوة القرآن، وقت إفاضات الكرم من المولى والإحسان، ليله معمور بالقيام، ونهاره مصون بالصيام، فكيف لا تجرى دموع المؤمن على فقد رمضان وهو لا يدري أحظي بالقبول والغفران؟ أم رمي بالطرد والحرمان، ثم لا يشعر أهو يدركه في الزمان الثاني.

كيف لا يجري للمؤمن على فراق رمضان دموع وهو لا يدري هل بقي له في عمره رجوع؟

تذكرت أيامًـــا خلـــت ولياليـــا
خلت فجرى من ذكرهن دمـــوع
ألا هل لها يومًا من الدهر عـــودة
وهل لي إلى يوم الوصال رجـــوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل
كوهل لبدور قد أفلـــن طلـــوع

أين حرق المجتهدين في نهاره؟ أي قلق المتهجدين في أسحاره؟ كيف حال من خسر في لياليه وأيامه؟ ماذا يفعل المفرط فيه بكاؤه، وقد عظمت فيه مصيبته، وجل عزاؤه؟ كم نصح المسكين فما قبل النصح، كم دُعي إلى المصالحة فما أجاب الصلح، كم شاهد الواصلين فيه، وهو متباعد، كم مرت به زمر السائرين، وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت، وخاف المقت ندم على التفريط، حيث لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

إخواني، ماذا استفدنا من رمضان؟ سؤال يطرح نفسه عند وداع شهر الصيام، وليقف كل واحد منا مع نفسه لحظات، كيف استقبل الشهر؟ هل أطعم جائعًا؟ هل عاد مريضًا؟ هل زار ميتًا؟ هل فطر صائمًا؟ هل واسي يتيمًا؟ هل أرشد ضالاً؟ هل طيب خاطرًا؟ هل طهر مالاً؟ هل ربى حقًا ولدًا؟ هل تذكر ضعفًا؟ هل لله رفع كفًا؟ هل ذرفت عينه دمعًا؟ هل كان حليمًا؟ هل أغاث ملهوفًا؟ هل قدم عونًا؟

إخواني، كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح، وأوقدوا

في المساجد طلبًا للأجر المصابيح، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح، وقبل التمام سكنوا الضريح، و لم ينفعهم المال والآمال، رحلوا عن الدنيا قِدمًا قدمًا، ونقض ما بنوه هدمًا هدمًا، أدارت عليهم المنون رحاها، وأحلت وجوههم في الثرى فمحاها.

وهذا حالك عن قريب، فتيقظ يا قليل الزاد وحاد رحيله قد حدى، تأهب للتلف وتهيأ للردى، ذهب عنك شهر الصيام، وودعك، وسارت فيه قوافل الصالحين، وجهلك منعك، والتوبيخ متوافر فما أرجعك، وما أزعجك، وأنت تؤمل منازل العالمين بأفعال الغافلين فما أطمعك، كم من صائم يفضحه الحساب والعرض، وكم من عاص في هذا الشهر تستغيث منه الأرض، فيا ليت شعري، من المقبول منا، فنهنئه على توفيق الله له بحسن عمله، ويا ليت شعري، من المطرود منا، فنعزيه بسوء فعله، لله در أقوام حرسوا بالتقى أوقاتهم، وتدرعوا دروع المراقبة في صبرهم، وجمعوا بين الصدق والإخلاص في ذكرهم، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر، وبسطوا أقدامهم على بساط الدياجر، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر، أقبلوا على ربهم إقبال عالم، ما سلكوا إلا الطريق السالم، تذكروا ذنوبهم القدائم، فجددوا التوبة بصدق العزائم، وعدوا التقصير من العظائم، وبذلوا المهج الكرائم، فإذا جن الليل؛ فساجد وقائم، أين أنت وهم؟ فهل ترى الساهر كالنائم، كلا، ولا المفطر كصائم.

وإلى كل من عزم على هجران الطاعات بعد رمضان أقول: اتقوا الله تعالى، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا،

واعلموا أن رب رمضان هو رب الشهور كلها، والعبادة لا تنقضي أبدًا.

يقول تعالى لرسوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ يقول الإمام أحمد: بئس القوم، لا يعبدون الله إلا في رمضان.

شتان وشتان بين من يرى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد، وطيف خيال ألم في طيب سهاد، فقد شغله أنسه بحبيبه عن الأنام، فهو يتمنى لو كان رمضان على الدوام، قد هجر فيه لذيذ المنام، ولزوم الوقوف في حندس الظلام.

وآخر يرى رمضان موسمًا لنيل الشهوات، ويعد أيامه استعجالاً لأوقات الهفوات، وفرط في الإنابة والتوبة، وقصر عن الإجابة والأوبة، فازداد برمضان وزرًا على نزره، واكتسب بأيامه خسرًا إلى خسره، ولم يتزود منه ليوم حشره، ورضي بإبعاده وهجره، والسعيد في آخر هذا الشهر الذي يتذكر الوعد والوعيد، ويطلب من مولاه المزيد، فهي أيام يتفضل فيها الملك المجيد، ويعتق الإماء والعبيد.

اغتنموا العمل الصالح المبرور قبل طول الثواء في القبور، وانهضوا إلى الأسباب قبل طي الكتاب، وبادروا بالاستغفار قبل إغلاق الباب، وإسبال الحجاب.

إخواني، عن قريب ستفرحون بالعيد، وتلبسون الجديد، فالله، الله، لا تنسوا الجسد الجريح في كثير من بلدان المسلمين؛ واسوهم بمالكم، وخصصوا لهم من دعائكم ولا تنسيكم فرحة العيد إخوانًا

لكم، وليكن عيدكم عبادة لا موسم معاص أو عادة.

في وداع رمضان يكتب القلم بمداد الحزن، والعبرات تسبق العبارات:

دع البكاء على الأطلال والـــدار
واذكر لمن بان من خل ومن جار
واذر الدموع نحيبًا وابـــك مـــن
على فـــراق ليـــال ذات أنـــوار
على ليال لشهر الصوم ما جعلت
إلا لتمحـــــيص آثـــــام وأوزار
يا لائمي في البكا زدني به كلفـــا
واسمع غريب أحاديـــث وأخبـــار
ما كان أحسننا والشمل مجتمـــع
من المصلي ومن القانت القـــاري
وفي التراويح للراحـــات جامعـــة
فيها المصابيح تزهو مثل أزهـــار
شهر به ليلة القدر التي شـــرفت
حقا على كل شهر ذات أســـرار
تنزل الروح والأفـــلاك قاطبـــة
بإذن رب غفور خـــالق بـــاري
شهر به يعتق الله العصـــاة وقـــد
أشفو على جرف من حصة النار

نرجو الإله محب العفـــو يعتقنـــا
ويحفظ الكل من شـــر وأكـــدار
ويشمل العفو والرضوان أجمعنـــا
بفضلك الجم لا تهتـــك لأســـتار
فابكوا على ما مضى في الشـــهر
ما قد بقي فهو حق عنكم جاري

أخيرًا أخي، من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وقنع بالتوبة والحزن، فمد إلى ربك يد الافتقار، وقم على بابه بالذل والانكسار، وارفع قصة ندمك على صحيفة خدك بمداد الدموع الغزار، قف على الباب باكيًا، ونكس الرأس شاكيًا، وألح على المولى داعيًا، وقل بلسان الاعتذار، وأنت نادم على الذنوب والأوزار:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثـــرة
فلقد علمت بأن عفـــوك أعظـــم
إن كان لا يرجـــوك إلا محســـن
فمن الذي يدعو ويرجـــو المجـــرم
أدعوك ربي كما أمرت تضـــرعًا
فإذا رددت يدي فمن ذا يـــرحم
مالي إليـــك وســـيلة إلا الـــدعا
وجميـــل عفـــوك ثم أني مســـلم

سلام عليك يا شهر رمضان، يا شهر الصيام والقيام وتلاوة

القرآن، سلام عليك يا شهر التجاوز والغفران والبر والإحسان، يا شهر الأنوار والمصابيح، يا شهر يترك فيه القبيح، سلام عليك يا شهر التراويح، والمتجر الربيح..

سلام مــــن الـــرحمن كـــل أوان
على خير شهر قد مضى وزمـــان
سلام على شهر الصـــيام فإنـــه
أمان من الـــرحمن كـــل أمـــان
لئن كنت يا شهر الصيام منـــورا
لــــك فـــؤاد مظلـــم وجنـــان
ترحلت يا شهر الصيام بصـــومنا
وقد كنت أنوارًا بكـــل مكـــان
لئن فنيت أيامك الزهـــر بغتـــة
فما الحزن من قلبي عليك بفـــان
عليك سلام الله كن شاهدًا لنـــا
بخير رعـــاك الله مـــن رمضـــان

اللهم، أعد علينا رمضان أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة في حياة سعيدة، اللهم، أعده على الأمة الإسلامية، وقد صلحت أحوالها، واندملت جراحاتها، اللهم، استر علينا فاضحات السرائر، وهب لنا موبقات الجرائر، وسامحنا عن كل قبيح نطقت به الألسن وأكنته الضمائر، فها نحن عبيدك الخاضعون لهيبتك، المتذللون لعزك وعظمتك، الراجون لجميل رحمتك، أمرتنا ففرطنا، ولم تقطع عنا

نعمتك، وهيتنا، فعصينا، فلم تحرمنا كرمك، اللهم، ردنا إليك بفضلك ورحمتك، ووفقنا للإقبال عليك والاشتغال بخدمتك، وتفضل علينا؛ فأنت البادي بالإحسان قبل توجه السائلين، وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الراغبين. فأتمم علينا إحسانك، كما بدأتنا، وأسبل علينا عفوك، كما عودتنا، واغفر لنا ولوادينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف
سليمان بن عبد الكريم المفرج
الجوف – دومة الجندل
٠٥٥٣٨٩١٥٣

*****